جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود

أدموند برك والليبرالية المعادية للثورة

تعود أصول الى هذه الفكرة الى ماقبل الثورة الفرنسية، ولكن امتداد الحركة الثورية في اعقاب الثورة الفرنسية واعتبارا من عام ١٧٩٠ م لتشمل بنطاقها نصف أوربا بعد الثورات التي حدثت في فرنسا عام ١٧٨٩ دفعت انصار الثورة المضادة الى توسيع مفاهيمهم الفكرية المضادة للثورة ليمنحوها الشمولية التي تجعلها أفكار عامة وشاملة فلا تقتصر على هذا البلد أو ذاك وعلى هذه الفترة التاريخية او تلك ، وجاءت هذه الفكرة في كتاب (تأملات في الثورة الفرنسية) للمفكر الانجليزي أدموند برك، فقد كان يستشعر الحقد فلاسفة الثورة الفرنسية الذين أسماهم بالفلاسفة الباريسيين، وبشكل خاص جان جاك روسو ، ووجه اعتراضه يأتي من قناعته بأن العقل والنظرية وسيلتان لاتصلحان لمتابعة الحياة داخل المجتمعات.

إن التاريخ كما يرى برك لم يقم بدلالة التأملات العقلية النظرية بقدر ما قام بدلالة الرصيد الكبير من التقاليد والفطنة والأخلاق المتجسدة في الاستعمالات السائدة وفي الحضارات، وإذا ما كان برك هذا الليبرالي الذي عاصر آدم سميث، يؤمن بأن حالة البؤس ذات مصدر إلهي فإنه بذلك يتنكر لكل فكرة تأملية تقول بقدرة القرار الانساني على معالجة هذه الحالة كما أرادت الثورة الفرنسية أن تثبت وتؤكد، ومرد هذا التنكرهو اعتقاده العميق بعجز الانسان أن يصبح السيد المطلق لمصيره.

لابد من التذكير بأن أفكار برك التي وردت في كتابه السابق جاءت كردة فعل على التمجيد التي حظيت به الثورة الفرنسية على يد (بريس) في خطابه الذي ألقاه في ٤ كانون الثاني ١٧٨٩ في جمعية تدعى جمعية الثورة، الذي اقترح فيه أن تكون الثورة الفرنسية نموذجا يحتذي به البريطانيون . فتسائل بيرك ألا يمثل البريطانيون شعبا حرا بفضل ثورتهم عام ١٦٨٨ وبفضل التقاليد دساتير المملكة؟ ثم يخلص الى انه لايرى ولايتوقع أن يرى في الحرية التي أعلنت في فرنسا بفعل الثورة الا مصدرا غير محدد الأبعاد للفوضى.

ويقترح برك الدستور الانجليزي كبديل عن الثورة الفرنسية طالما ان هذا الدستور يتميز بالحكمة العميقة التي لا تكمن في بعض القواعد أو المبادئ وانما تكمن في الاعراف الواسعة والمتناسقة. ان هذه المقابلة بين دستورين الدستور البريطاني والمبادئ الثورية التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية، ونوعين من الحرية ، الحرية الليبرالية التقليدية البريطانية، والحرية الليبرالية للثورة الفرنسية تعكس الملامح الرئيسة لفلسفة برك الليبرالية المحافظة.

العقد الاجتماعي عند برك

اثار اعلان حقوق الانسان والمواطن سخرية برك لأن مبادئه نصت على المساواة وهي ضد الطبيعة حسب وجهة نظره ومن هنا انطلق بمهاجمته للثورة الفرنسية لأنها أقرت مثل هذه المساواة. ويرى بان المجتمع المدني يقوم على اساس عقد وضع نهاية لحالة الطبيعة التي كانت في جوهرها الطبيعية العارية والمزعزعة على حد تاكيده، وهي تمثل عنده حالة الطبيعة قبل العناية الالهية. وهذا العقد يمنح بموجبه الانسان حقوق وفي مقدمتها الحقوق الخاصة ببلوغ السعادة عن طريق انتصار الفضيلة على الانفعالات. وهذا الحق لايتضمن الحق الفردي في مناقشة الشون العامة ولا حق المشاركة في الحكم، انما يتضمن فقط الحق في الحصول على نظام حكم جيد يضمن الحقوق الفردية ويحميها. وهو يتمسك بضرورة قيام حكومة (الارستقراطية الطبيعية) التي تتميز بتشعبها بالانضباط الشخصي، أما الثورة فهي لديه عقاب من لدن الألهة عللى الخطيئة التي ارتكبها الناس.

المصادر:

١- عبد الرضا الطعان، علي عباس مراد، عامر حسن فياض، ط١،موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥.
٢- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر النهضة، ج١، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٣- جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ط٢، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.
٤- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر الاصلاح الديني، ج٢، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٥- فرانسو شاتليه، تاريخ الايديولجيات-القرن ٧-١٩، ج٢، ترجمة انطون حمصي، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٧.
٦- ليو شتراوس، جوزيف كروسبي، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك الى هيدجر، ج٢، ترجمة محمود احمد سيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود